

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف الوجدان واضطرابات العواطف (63)

ثانياً: الانفعالات العسرة: (26)

اضطرابات الوجدان (العواطف)

مُسْر الاضطرابات الوجدانية: كَمياً (23)

المزيد عن التميز البشري بالتناقض الوجداني

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD01215.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/02/01

السنة الثامنة - العدد: 2681



برغم أنني لا أحمس كثيراً لإثبات تفوق الإنسان على ما قبله من أحياء، وبرغم أنني أبدأ في النظر في كل ظاهرة بشرية من بدايتها قبل المرحلة البشرية إلا أنني أميل - مرة أخرى - لترجيح ما ورد في النشرة السابقة من أن تناقض الوجدان كظاهرة سوية (مرحلة نابضة مكررة) [1] بالمواصفات التي ذكرناها في النشرة السابقة هو ظاهرة خاصة بالإنسان بشكل أو بآخر.

كما ذكرت سابقاً فإن تشارلز داروين - على حد علمي - لم يرصد تناقض الوجدان عند الحيوان في كتابه التعبير عن الانفعال، بل إنه أشار إلى أن الانفعالات المتضادة تظهر عكس بعضها وتؤدي كل واحدة منها عكس ما تؤديه الأخرى، وحين أتيت لنا الفرصة للنظر في مثل ذلك عند الإنسان وجدنا أن هذا وراود أحياناً لكنه ليس القاعدة، ففي حالة المرض وخاصة الفصام قد يحدث التناقض حتى التجمد أو التصادم فالتناقض، أما في حالة السواء فهو (التناقض) يثير أصل حركية جدلية على درجة من الوعي تتدرج بنا تصعيداً إلى جدل خلاق وإبداع أصيل مروراً بتحمل الغموض مدعوماً بالمتابرة. وحين راجعت نهاية النشرة السابقة شعرت أنني أصف جدل الإيقاع الحيوي بكل تناقضاته وليس فقط تناقض الوجدان، وأنا لا أنفي حركية الجدل عبر طول مسيرة التطور عند الأحياء قبل الإنسان، وأعتقد أن دراسات قادمة سوف تبين أن الطفرات التي تخلق منها الكائن تلو الآخر، - بفضل الله - هي طفرات إبداعية جدلية، ولكن ليست كما نعرفها عند الكائن البشري ولا فيما يعلن مما يسمى الإبداع البشري، بل هي تتم بناءً عن التوفيق في الامتثال لبرامج البقاء المتنوعة والمتعددة الجارية عبر الزمن بفضل الله.

وفي الإنسان المفروض أن تكون مسيرته على نفس الوتيرة وبنفس البرامج، ولكن مع درجة ما من مستوياته المختلفة بعد أن اكتسب هذا الكائن المهارات وأدوات إدراكية رمزية، وتقنية، كما أتاحت له فرصة الكدح بمسئولية تسمح له بالتقدم واعياً إلى ما هو أرقى فأرقى.

من أين تأتي صعوبة عمل علاقة مع آخر؟

من إصرارنا على إنكار الطبيعة البشرية المتصلة بالتطور

في مراحل النمو عند البشر، يعتبر تناقض الوجدان هو الصفة المميزة لعبور (بل معايشة) الموقف الذي وصفته ميلاني كلاين "بالموقع الاكتئابي" وقصرته على فترة الطفولة وهو الذي أسميته مؤخراً موقف التميز البشري.

أعتقد أن دراسات قادمة
سوف تبين أن الطفرات
التي تخلق منها الكائن تلو
الآخر، - بفضل الله - هي
طفرات إبداعية جدلية

من أين تأتي صعوبة عمل
علاقة مع آخر؟
من إصرارنا على إنكار
الطبيعة البشرية المتصلة
بالتطور

البداية لا بد أن تكون باعترافنا بجهلنا بالنفس البشرية، وبالتالي بآليات ما تطورت إليه البرامج البقائية بعد أن أصبحت وجدانات مع ظهور الوعي البشرى، دون إلغاء مستويات الوعي الأخرى، فقد أصبح لزاما أن يعاد تشكيل كل المستويات معا لعمل علاقة، والمفروض أن يجرى هذا تلقائيا، لكن الذى حدث أن غلبت الميكانيزمات على برامج النمو حتى آل الحال إلى معظم مظاهر الاغتراب الجارية حالا.

كيف تحل الصعوبة؟

يبدو أن العلم العصبى المعرفى فى طريقه إلى حل المعضلة، بعد أن تبين أن العلاقات البشرية هى علاقات مستويات وعى ببعضها البعض، وأنها غير قاصرة على مستويات الوعي البشرى الفردى ، ولا حتى الوعي البيئى، مع الصعوبة الطبيعية التى تتجلى فى ظهور الألم النفسى لمن يغامر بمحاولة عمل علاقة مع إنسان فرد آخر ومن ثم يسمى الموقف الاكتئابى، لكنه من هذا المنطلق هو الاكتئاب الحيوى الخلاق، وليس المرضى، ثم انتهينا إلى ضرورة مشاركة كل مستويات الوعي فى المحاولة التى تستثير تناقض الوجدان بشكل مختلف فعال.

الإنسان الفرد المعاصر يمكن أن يقيم علاقة مشتملة أوسع مما يسمح به ظاهر وعيه، وما حضر من وجدانه له، وذلك من خلال تخليق وعى مشترك، يتخلق وحده كلما أقلنا من وصاية الفكر والكلام عليه، بدءًا بما عرف مؤخرا "بالوعي البيئى".

لكن الوعي البيئى أعجز من أن يستمر فاعلا وناجحا لضمان استمرارية وإبداعية العلاقة إذا لم يتدعم بوعى آخر فأخر، أعلى فأعلى، أوسع فأوسع أعمق فأعمق، أشمل فأشمل.

هكذا نجد أنفسنا فى رحاب ما يسمى "الوعي الجمعى"

دوائر الوعي الجمعى تعمل بكفاءة أكثر فأكثر كلما امتدت: فانتسعت عرضا لتشمل عددا أكبر فأكبر من البشر، وامتدت عمقا إلى أعرق مراحل التطور تاريخا، وكذلك امتدت طولا وعرضا لتلتحم بالوعي الكونى عبر الناس وإلى الغيب إبداعا نحو وجه الله.

تحمل الغموض:

تحمل الغموض هو النتيجة الطبيعية لمحاولة احتواء تناقض الوجدان (أو أى غموض آخر)، وبالتالي يمكن تجاوز الاستقطاب، ودفع حركية الجدل الخلاق، إن القبول بفكرة تناقض الوجدان فى حدود التحريك والجدل والإبداع ترتبط ارتباطا جيدا باحترام كل ما خلقنا الله به دون استثناء، فضلا عن حفزنا لاحتوائه والانطلاق منه.

أما إذا توقفت حركية النمو البشرى عند موقف بادئ لا يتكرر، أو تجمدت بالترار والاعتراب فإنه لا يتحقق فى مجال العلاقات البشرية إلا الموقف الثنائى المغلق، المهذّب بانتهاء عمره الافتراضى بأقصر مما نتصور، لكن إذا امتدت حركية النمو البشرى إلى مستويات الوعي الأعلى فالأعلى، فإن الفرص تزداد باستمرار، ويتسع كل من المجال والأفق، ويضطرر الامتداد حتى يحقق الإنسان ما أكرمه به ربه تحت رحمته.

إن مظاهر التناقض الوجدانى الإيجابى يمكن رصدها فى نشاطات إبداعية وإيمانية فائقة من أول تحمل الغموض حتى تحقيق طفرة حضارية إبداعية مما يحمل كل إنسان فرد مسئولية أن يحيى الناس جميعا ولو بأحياء نفس واحدة، ولو كانت نفسه هو، حالة كونه يحتمل غموض الاختلاف مع كل الآخرين وأن يستمر لصالحه وصالحهم دون الحاجة إلى تسويات مائعة أو تراجع خطر.

إن احتواء تناقض الوجدان الذى يتحقق بالتدرج وباضطراد إلى تحمل الغموض يمكن أن يبسر للإنسان طريقه إلى الإيمان اليقينى بما لم يتحدد نهائيا أمام حواسه الظاهرة، وهو - غالبا - ما قُصد به "الإيمان بالغيب"، وبالتالي هو يحفز إلى مواصلة السعى بأى قدر من المعلومات المنسقة

فى مراحل النمو عند البشر، يعتبر تناقض الوجدان هو الصفة المميزة لعبور (بل معايشة) الموقف الذى وصفته ميلانى كلاين "بالموقع الاكتئابى" وقصرته على فترة الطفولة وهو الذى أسميته مؤخرا موقف التمييز البشرى

البداية لا بد أن تكون باعترافنا بجهلنا بالنفس البشرية، وبالتالي بآليات ما تطورت إليه البرامج البقائية بعد أن أصبحت وجدانات مع ظهور الوعي البشرى، دون إلغاء مستويات الوعي الأخرى

تبين أن العلاقات البشرية هى علاقات مستويات وعى ببعضها البعض، وأنها غير قاصرة على مستويات الوعي البشرى الفردى، ولا حتى الوعي البيئى

والمتناقضة معا، مما يفتح المجال لمزيد من الإبداع والتكافل والكبح والإيمان، على مسار تصعيد الوعى حتى الوعى الكونى إلى وجه الله.

هذا علما أن احتواء تناقض الوجدان، ومن ثم تحمل الغموض لا يعنى السماح بالريكة أو الفوضى والتشتت بقدر ما يدعو إلى التحمل والمثابرة .

إن احتواء تناقض الوجدان سوف يساهم فى دعم تخليق الوعى البيئشخصى بدلا من الاختناق فى الوعى الشخصى، انطلاقا إلى الوعى الجمعى فالجماعى([2]) إلى الوعى الكونى، فالوعى المطلق إلى وجه الله، لأن الاختلافات الغريزية والجماعية تدخل معا فى كل مرحلة إلى المرحلة الأعلى فى جدل خلاق وهى تتشكل تخليقا نوعيا جديدا مع كل نقلة.

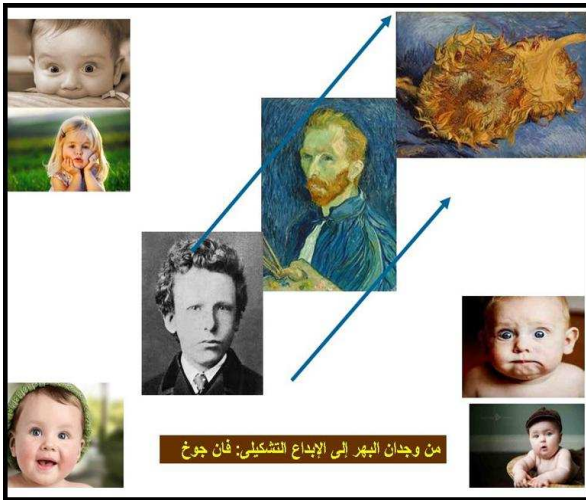
وبعد

فى ندوة يناير 2015 التى عقدتها جمعية الطب النفسى التطورى بدار المقطم للصحة النفسية عرضت توضيحا لهذا التصعيد بأشكال ربما تساعد فى فهم تطور حركية التناقض إلى تحمل الغموض إلى الجدل فالإبداع فالإيمان،

وقد رأيت أن أعرض بعضها هنا دون تعليق لعلها تساعد فى المراجعة، ولمن شاء أن يرجع

لشرائح الندوة كلها فأليك الرابط [Link](#)

شرائح الندوة (مع بعض الإضافة والتعديل).



الإنسان الفرد المعاصر يمكن أن يقيم علاقة مشتملة أوسع مما يسمع به ظاهر وعيه، وما حضر من وجدانه له، وذلك من خلال تخليق وعى مشترك، يتخلق وحده كلما أقلنا من وصاية الفكر والظلم عليه، بدءاً بما عرفته مؤخرًا "بالوعى البيئشخصى

الوعى البيئشخصى أمجز من أن يستمر فاعلا وناجعا لضمان استمرارية وإبداعية العلاقة إذا لم يتدعم بوعى آخر فأخر، فأعلى فأعلى، أوسع فأوسع أعمق فأعمق، أشمل فأشمل.

هكذا نجد أنفسنا هى راحة ما يسمى "الوعى الجمعى

أنواع التعامل مع موقف التميز البشري البادئ بتناقض الوجدان:

البداية

حضور فردي استبعادي ← حضور فردي استبعادي



وعى شخصي استبعادي للأخرين

حركية الوعي البيئشخصي

وعى فردي ← وعى بين شخصي ← وعى فردي



ثالثا : امتداد دائرة الوعي البيئي : للأسرة مثلا

وعى فردي ← وعى بين شخصي ← وعى فردي

وعى فردي ← وعى فردي

وعى فردي ← وعى فردي



ثالثا : التوسع إلى دوائر أكثر وأبعد ، مثلا :العلاج الجمعي

وعى فردي ← وعى بين شخصي ← وعى فردي

وعى فردي ← وعى فردي

وعى فردي ← وعى فردي

وعى فردي ← وعى فردي

وعى فردي ← وعى فردي

• مزيد من الانتماء يخفف ثقل التناقض

دوائر الوعي الجمعي تعمل بكفاءة أكثر فأكثر كلما امتدته: فأتسعت عرضا لتشمل محدا أكبر فأكبر من البشر، وامتدته عمقا إلى أعرق مراحل التطور تاريخيا، وكذلك امتدته طولا وعرضا لتلتحم بالوعي الكوني عبر الناس وإلى الغيبج إبداعا نمو وجه الله

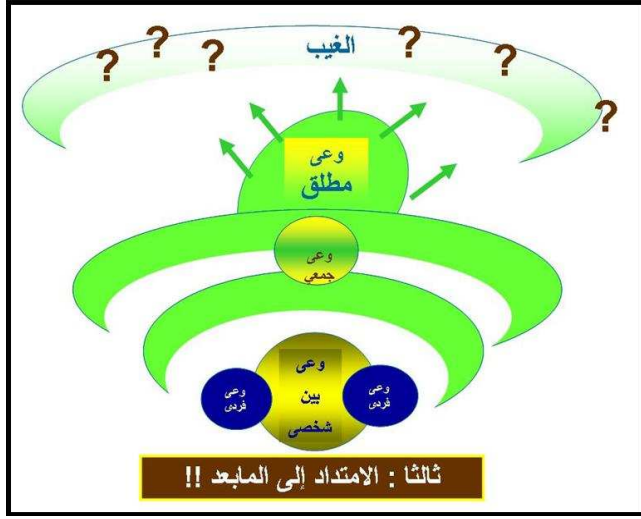
تحمل الغموض هو النتيجة الطبيعية لمحاولة احتواء تناقض الوجدان (أو أي غموض آخر)

إذا امتدته حركية النمو البشري إلى مستويات الوعي الأعلى فالأعلى، فإن الفرص تزداد باستمرار، ويتسع كل من المجال والأفق، ويضطرر الامتداد حتى يحقق الإنسان ما أكرمه به ربه تحت رحمة.



إن احتواء تناقض الوجدان الذي يتحقق بالتدريب وبإضطراد إلى تحمل الغموض يمكن أن يبسر للإنسان طريقه إلى الإيمان اليقيني بما لم يتحدد نهائياً أمام حواسه الظاهرة، وهو - غالباً - ما قُصد به "الإيمان بالغيب"

إن احتواء تناقض الوجدان سوف يساهم في دعم تخليق الوعي البيئشخصي بدلاً من الاختناق في الوعي الشخصي، انطلاقاً إلى الوعي الجمعي فالجماعي (2) إلى الوعي الكوني، فالوعي المطلق إلى وجه الله



[1] - هذه الصفات إضافة من النظرية الإيقاعية التطورية للمؤلف.

[2] - فضلت ابتداءً من الآن أن استعمل تعبير الوعي الجمعي لأصف به وعي مجموعة محددة من الناس معاً، وأقصر استعمال تعبير الوعي الجماعي لمجموعات أكبر فأكبر تصل حتى كل الناس، وأفضل أن تترجم الوعي الجمعي إلى Group Consciousness والوعي الجماعي إلى Collective Consciousness .

**** **

كامل نشراته " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

خريف / شتاء 2014/2013

الإدراك

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf>

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.exe>

خريف / شتاء 2013/2012

" نبي تجلب أذنه ما هو صوته "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe

ربيع - صيف 2012

... قراءة من منظور تطوري " الفصحاء "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe